الرافدين

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

العدد السابع – السنة الثانية 1990

الرافدين

موسوعة فصلية مصورة تعنى بالاثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

الكوفة
Kufa Academy

أكاديمية الكوفة

هولنده

Kufa Academy

كيف افهم الغدير ؟

(محاضرة للدكتور الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي

هيأ الدكتور البوطي لمؤتمر الغدير دراسة بعنوان (الاسلام والعلم الحديث) وحين جاء دوره وارتقى منبر الغدير ارتجل هذه الكلمة تحية لصاحب الغدير ودعوة خيرة نحو الوحدة الاسلامية اقتداءاً ـ بأمير الخلفاء ـ ونهجه الامثل .

لقد عشت ولا أزال اعيش في المعاني والافكار التي اصغينا اليها معاً البارحة سواء في كلمات الشعر والنثر ، ونظرت الى الموضوع الذي كتبته ودُعيت الى الحديث فيه فرأيت بينه وبين ما أنا متأثر فيه الى اليوم بُعداً شاسعاً . ورأيت النقلة بعيدة بين ما تأثرنا به وبين ما دُعيت الى الحديث عنه ، بل لعلّي لا ابالغ ان قلت انني اجدني حديث المعاني الرائعة التي اصغينا اليها البارحة فانّى لي ومن أي منفـذ استطيع ان ابتعد عنه لأحدثكم عن الاسلام والعلم الحديث . ومن حسن الحظ ان البحث مطبوع وانه سيوزع عليكم قريباً انشاء الله فلنسر على القاعدة القائلة : التأسيس خير من التأكيد ، لتكن كلمتي بين يديكم تأسيساً والكلمة التي تقرأونها تأسيساً آخر .

حديثي اليكم لن يكون اكثر من توقيع على كلمات اصغينا اليها البارحة ، لاسيما كلمتين ، اولاهما موجزة مكثفة من سماحة الاستاذ محمد بحر العلوم والثانية مبينة مفصلة وضعت فيه النقاط على الحروف من سماحة الاستاذ الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، لكن توقيعي هذا لن يكون كلمة تخط على ورق ولكنه بيان وتعليق وتعميق للمعاني التي اصغينا اليها . لقد كانت كلمة سماحة الاستاذ الجليل الشيخ محمد شمس الدين من الموضوعية والدقةبحيث تناسىالرجل انتماءه المذهبي وصعد الى اعلى درجات الصفاء الاسلامي .واستطاع من هذا المنطلق ومن ذلك التحليق أن يضعنا امام فكر موضوعي رائع ، أفليس من الحق ومن مقتضيات العدل ان يقوم باحث مثلي ربما كان ينتمي الى مذهب مقابل فيقف الموقف ذاته . ويذهب مذهب الاستاذ الجليل في هذه الموضوعية بحيث يتخلى عن مذهبيته وانتمائه ليلتقي معه في قمة الصفاء

الاسلامي ، وعلى اساس من الحقيقة الاسلامية ذات الجمهور الموحد الواحد ، هذا ما شعرت بضرورته وهذا ماانذرت نفسي اليه ، واسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق .

لاشك أيها الاخوة والاخوات ان وحدة الامة اساس مقدس بل لعله اقدس أساس بل انني ما اعتقد ان الاسلام جاء ليحقق هدفاً من الاهداف كتحقيق وحدة الامة الانسانية ، كتحقيق الاسرة الانسانية ، الاسلام جاء ليوحد الامم والقبائل المتفرقة واني لا اتصور انه حيث ما كان الاسلام محققاً لهذه الغاية فان سلوك المسلمين صحيح . وحيثما كان المسلمين سائرين في نقيض هذا الطريق متفرقين مشتتين فان سلوكهم غير صحيح ، وانني لا أزال أتساءل أيعقل ان يكون الاسلام الذي وحّد بالامس القبائل والفئات المتخاصمة والمتعادية هو بذاته الاسلام الذي يفرق الامة الواحدة اليوم ، ما اتصور ان هذا الاسلام الذي نمارسه هو ذاته الاسلام الذي مارسه سلفنا واجدادنا من قبل . وحدة الامة هي القطب الذي يدور عليه رحى الاسلام أجمع . اذن ينبغي ان ننطلق من هذا الاساس ، اما ما يتعلق بأصول الاسلام وكلياته ومبادئه العامة التي لا خلاف فيها ولم يقع من بعد خلاف فيها ، فلا نتوقف امام شيء منه ولا محل لإشكال فيه ، ولكن الحديث ينبغي أن يتناول الغدير وما تفرع عن الغدير والمشكلات التي صورها لنا سماحة الاستاذ الجليل بالأمس . هذه المشكلة ، كيف يمكن ان نحلها ونحن نعلم ان اقدس ماجاء الاسلام به انما هو وحدة الامة ،ولحسن الحظ ايها الاخوة كلنا متفقون على هذا الحديث الاقدس ، ما سمعت كلمة فيما سمعت بالامس وقبل الأمس الاّ وسمعت المتحدث ينشد الوحدة الاسلامية ويهتف بها ، ويزفر الزفرات المتتالية لابتعادنا عنه . الاّ اننا عندما نسير في خطواتنا العملية ابتغاء تحقيق الاسلام ، نجد ان هذا الهدف قد تبخر ونجد انفسنا عاجزين عن القبض عليه بشكل من الأشكال لأن لذلك سبباً هو السبب الذي لفت القرآن الكريم نظرنا اليه وهي حقيقة علمية منطقية هندسية معروفة . انا لكي ارسم دائرة متكاملة لابد أن اضع يدي قبل ذلك على المحور الثابت . المحور هو الذي يوجد الدائرة التي تستدير من حوله ، فاذا لم استطع ان اثبت يدي على المحور الداخلي فهيهات ان استطيع ان ادير خطاً متكاملاً بشكل دائرة تعبر عن الوحدة فما هو المحور الذي يلم الشعث ، ما هو المحور الذي يوجد الدائرة . لقد اجاب القرآن عن هذا السؤال عندما قال (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) لم يقل ولاتفرقوا باديء ذي بدىء . لو قال لا تفرقوا ، أو اتحدوا لما استطاع الناس الى ذلك سبيلاً ، ولما استطاع منطق ان ينجدهم في تحقيق هذا الامر ، لكن البيان الالهي قال قبل كل شيء (واعتصموا بحبل الله) امرهم بوضع المحور حتى اذا اعتصموا اتيح لهم بعد ذلك ان يوجدو الوحدة التي ندعهم اليها ، نحن بحاجة ايها الاخوة الى ان نتلمس المحور الذي يعيد وحدتنا الى بنائها الحقيقي القائم ، فما هو المحور في موضوعنا ، موضوع الغدير هذا . اعتقد انه يتكون من حقيقتين اثنتين اولاهما حب آل بيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه .

ثانيهما الاقتداء بآل بيت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه ـ اما الحب فانا اتلمس مكانه في نفس كل مسلم صادق في اسلامه فلا اجد في هذا أي فرق بين مسلم ومسلم . من ذا الذي لا يفيض قلبه حباً لعلي ـ رضوان الله عليه وكرم الله وجهه وعليه ازكى الصلاة والتسليم ـ من ذا الذي صدق في اسلامه ثم لا يفيض قلبه حباً لآل بيت رسول الله ـ ص ـ عموماً . وإني لأعتقد ان الامام الشافعي انما كان يعبّر عن مشاكل كل المسلمين عندما قال :

ان كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان اني رافضي

بل اني لأعتقد ان كل شعور صادق مع الله ومع رسول الله (ص) في طاعة الله ورسوله لا بد أن يردد مع البوصيري ابياته التي يقول فيها :

آل بيت النبي طبتم فطاب المدح فيكم وطاب الرثاء
انا حسّان مدحكم فاذا نحت عليكم فانني الخنساء
سُدتم الناس بالتقى وسواكم سودته البيضاء والصفراء
فابكهم ما استطعت ان قليلاً في عظيم من المصاب بكاء

وعندما شرفني الله عز وجل لأول مرة بالحج الى بيته الحرام ثم بزيارة مثوى رسول الله عليه الصلاة والسلام دخلت البقيع ووجدتني مندمجاً مع اخوة لي جاءوا من ايران يزورون قبور آل بيت رسول الله (ص) وقفت معهم واندمجت مع جموعهم واصغيت الى ابيات رقيقة من الرثاء وأنا افهم الفارسية قليلاً تأثرت كما تأثروا وبكيت كما بكوا واندمجت في شعور هو معين من معين الاسلام وغصن من جذع دين الله سبحانه وتعالى . هذه الحقيقة قائمة ، اتلمس مكاناً لمذهب دون مذهب أو فرقة بين فئة من المسلمين فلا أجد ـ الحقيقة الثانية في هذا المحور الاقتداء بآل رسول الله (ص) ونحن نعلم ان من ابرز وابسط واهم ثمرات الحب الاقتداء بالمحبوب (ان المحب لمن يحب مطيع) وانظر الى هذه الحقيقة الثانية واحاسب نفسي ، واحاسب كل مسلم بقطع النظر عن انتمائه فلا اجد مسلماً صادقاً مع اللهالا وكان مقتدياً بآل بيت الله (ص) والله الذي لا الله الا هو لو أن علياً ـ كرم الله وجهه اتخذ يوم السقيفة موقفاً مستقلاً اتخذ يوم استخلاف ابي بكر لعمر موقفاً مستقلاً أو يوم الشورى التي بويع على اعقابها لعثمان موقفاً مستقلاً اذن لتركنا كل نهج واتبعنا نهج علي. ولكنا نظرنا فوجدنا هذا الامام الجليل اندمج في سلوكه وفكره مع الكلمة الجامعة ، مع الخط الاسلامي العام ،وأنا لا اذهب في تحليلي الى هذا الموقف ـ في تحليلي لهذا الموقف الى اكثر من هذاالكلام ،حسبي ان اجد ان علياً ـ رضي الله تعالى عنه سار في هذا المنحى وانا مسلّم ولا داعي الى ان احلل واتساءل ، ليست لي مصلحة في ان اضعف حديث الغدير ، وليست لي أي مصلحة في ان أؤول او ابتعد بالكلام عن ظاهره ، يغنيني عن هذا كله ان اجعل من سيدنا علي ـ رضي الله عنه وكرم الله وجهه ـ رائدي في تفسير هذا الامر كله وآية هذا الذي

اقول أية هذا الاقتداء الذي اشعر ان ايماني ينقص وربما يتزلزل ويضطرب ، ان لم يتحقق هذا الاقتداء بآل بيت رسول الله ، آيةذلك ،ان علياً رضي الله عنه اتخذ موقفاً صريحاً امام ايام الفتنة من معاوية وكتب اليه الرسائل واعلن انه منحرف عن الخط ،خارجاً عن النهج اتجه جمهور المسلمين الى ما اتجهه اليه علي (رضي الله عنه) ولعلكم جميعاً تعلمون ان جمهور الفقهاء يقررون ان علياً رضي الله عنه هو صاحب الولاية والخلافة وان صف معاوية يشكل البغي قرأنا هذا في كتب الشريعة الاسلامية هذا رأي الامام الشافعي ، وهذا رأي الامام ابي حنيفة ، وهذا رأي الجمهور ، وهكذا فان المسلمين ، سواء المسلمين كانوا يسيرون وراء آل البيت أنى سواء . ويتجهون في حل هذه المشكلة طبقاً للحل الذي يقدمه رائدهم سيدنا علي (رضي الله عنه) ومن بعد بقية آل بيت رسول الله (ص) أين يكون الخلاف اذن ايها الاخوة. يكمن الخلاف فيما شجر بين المسلمين من بعد ، هذا ما أتصور ، يكمن الخلاف في سلسلة الخلافة التي رأى الاخوة الشيعة انها ينبغي ان تكون محصورة في سلالة علياً (رضي الله تعالى عنه) الى عهد الامام الثاني عشر الذي اختفى كما يقرر السادة والاخوة الشيعة ، هذه المنطقة هي منطقة الخلاف ، وأنا اقول انها مسألة اجتهادية ، مسألة اجتهادية مجردة ، جمهور المسلمين يرون ان الغدير وما يتفرع عن الغدير وان وحي الغدير يشير الى (علياً رضي الله عنه) والمسلمون بعد ذلك عليهم ان يجتهدوا وينفقوا. اما اخواننا شيعة آل بيت رسول الله (ص) فيرون ان الغدير انما يشير الى علي أولاً ثم تمتد الاشارة الى آل بيته ، الى غياب الامام الثاني عشر ثانياً ، هذه المرحلة أياً كانت خلفيات الخلاف فيها تجاوزناه ، طويت ، غدت تاريخاً مضى ، واليوم ونحن نسير في الفترة التي يغيب فيها الامام المنتظر اقول لكم بحق ، اقول عن نفسي وعن كل مسلم عندما يحين ظهور هذا الامام الغائب بأذن الله كما يرى اخواننا الشيعة وعندما يظهر فلن يكون هنالك أي لبس على ظهوره ولن يكون هنالك أي ضباب او اضطراب يغشي على شخصيته ،عندما يحين ذلك الميعاد فلسوف تجدون ان المسلمين جميعاً غدوا مذهباً واحداً ،وانهم جميعاً يقدمون الولاء لهذا الامام ويقدمون البيعة له ، هذا بالنسبة للمستقبل المنظور وذاك بالنسبة للماضي بدءاً من وفاة رسول الله (ص) الى اواخر الخلافة الراشدة لا خلاف قط . رقعة الخلاف هي ما جاء بعد ذلك الى الامام الثاني عشر ومن بعد لا أحد موضوعاً للخلاف ، لا أجد مادة استطيع ان أضع يدي عليها لأتلمس منها ينبوع خلاف أو سبب مزقه قط هذا المعنى اعتقد انه معنى ماثل امام الابصار والبصائر جميعاً ، يكفينا مؤنة الخوض في تفاسير قد تتفرع عنها خلافات اجتهادية شتى ، هذا الحل يكفينا مؤنة تأويل لسنا بصدده ولسنا بحاجة اليه قط . ثم ان هذا واقع ، واقع نتلمسه اذن أين بقي الاشكال الخفي .

ايها الاخوة اسمحوا لي ان أقول بصراحة وان استظل بصراحة الكلمات الرائعة التي اصغينا اليها بالأمس ان الذي كان ولا يزال يفرق المسلمين انما هو العصبيات والاهواء وعندما

ينسى الانسان ان المذهب خادم للمبدأ يضحي بالمبدأ في سبيل المذهب وتلك هي العصبية الخطيرة في حياة المسلمين ، بل في حياة الجماعات الانسانية كافة ولو ان الناس ،او لو أن المسلمين بالاحرى تنبهوا الى ان المذهب لايبرر وجوده إلاّ أن يكون خادماً للمبدأ المتفق عليه لحركنا المذهب كما يقتضي المبدأ ولسيرنا الاغصان كما تقتضي الجذور وعندئذ تحررنا من عصبياتنا ، وتحررنا من أهواءنا ، وأنا أقول هذا الكلام انطلاقاً من النظر الى نفسي ، انطلاقا من الشعور بما قد اتبناه في بعض الاحيان من آراء واجتهادات ،انا في كثير من الاحيان عندما انسى ، والانسان بشر انني مشدود الى مبدأ وانني مكلف برعاية هذا المبدأ اجد حافزاً خفياً بين جوانحي وقوياً يدفعني الى ان انتصر للفكرة التي ناديت بها وانا اشعر بانها غدت جزءاً من شخصيتي من منطلق الدفاع عن شخصيتي ادافع عن هذه الفكرة ، ولكني اعود أذكر المبدأ الذي شدني الله عز وجل اليه وانا لا أزال اذكر ايها الاخوة كلمة اثرت في نفسي تأثيراً عميقاً سمعتها من سماحة الاستاذ الشيخ مهدي شمس الدين في مؤتمر من المؤتمرات التي عقدت في الجزائر عندما قال :

مهما كانت اجتهاداتنا وآرائنا ينبغي أن لا ننسى ان علينا أن نمسك بحجة سنمضي بها الى الديان يوم القيامة ، سنسأل عنها ، وقد كررها البارحة ، كرر هذه الفكرة البارحة . وهي العمود الفقري في حل كل مشكلة ومعضلة ، نحن سائرون الى نهاية ايها الاخوة ونهايتنا وقفة بين يدي الله سبحانه وتعالى ، نعم وامام ذلك المصير ستذوب عصبياتنا وتنمحي انتماءاتنا ، ولسوف ننسى ما كنا ندافع عنه ربما من أهواء ورغبات وشهوات .

ونجد امام الحقيقة العارية التي ندبنا في هذه الحياة الى الدفاع عنها والتمسك بها ، فماذا نحن قائلون ، وبأي منطق ندافع عن مواقفنا في ذلك اليوم ، انني احب لنفسي كلما تبنيت رأياً ان اضع نفسي من هذا الرأي امام مقياس مقياسي هو ذلك المصير ترى هل استطيع ان ادافع عن رأيي هذا أمام الله ؟هل استطيع ان امسك بحجة يقبلها الله عز وجل مني ؟ ان كانت هذه الحجة تعتمد على اجرين من اجتهاد مصيب أو على اجرٍ من اجتهاد مخطأ ، اني ما قرأت مرة شيئاً من ترجمة الامام علي الاّ وثار بين جوانحي شجوى لا نهاية له ،وأنا اعجب عندما اسمع من بعض الاخوة كلمات ربما توحي بشكل مقصود أو غير مقصود ان هذا الحب لايعرفه ولم يذقه الا بعض من المسلمين اسعدهم الله بهذه النشوة ، والله نحن جميعاً أيها الاخوة نتحلق حول هذا المعين ، والله اننا جميعا لننهل من هذه الكأس . ولكن هذا الحب يدعوني الى الاقتداء ، أنا عندما انظر الى علياً رضي الله عنه وقد اتخذه كل من الخلفاء الثلاثة من قبله مستشاراً بل أميراً له ربما ، أميراً غير متوج ، نعم عندما اجد ابا بكر وقد خرج لقتال المرتدين وكيف جاء علي رضي الله عنه ليمسك بزمام فرسه قائلاً : وارجعوا الى هذا الكلام (كل المراجع تذكره) أقول لك يا أمير المؤمنين ما قاله لك رسول الله يوم أحد : لم سيفك وعد الى دارك ،والله لئن نكب المسلمون

بك لن تقوم لهم قائمة من بعدك وانظر الى عمر وقد استشاره للخروج بنفسه لقتال الروم كما هو وارد في نهج البلاغة وغيره وإذا بعلي رضي الله عنه يشير اليه ان لا يخرج وان يبعث فلول العرب والمسلمين وان يستقر في مكانه يرعى الامر من بعيد ثم انظر اليه يكرر الاستشارة للخروج بنفسه الى بلاد الفرس فيقول له علي رضي الله عنه كن القطب الثابت وادر رحى العرب من دونك . نعم فوالله لئن خرجت لتتركن وراءك من العورات ماهو أخطر من العدو الذي امامك ، عندما اجد نصائحه لعثمان وقد احدق به اولئك الذين أرادوا به شراً كرر وأعاد هذه النصائح ، عندما اجد علياً رضي الله عنه وقد ارسل زهرتيه الحسن والحسين ليحرسا عثمان رضي الله عنه ، عندما اجد هذا كله كيف استطيع ان اعبر عن حبي له لا استطيع أن اعبر عن حبّي له الاّ باتباع خطواته ، إلا بالسير بالنهج الذي سار عليه ، ووالله اقولها ثانية لو أن الامام علياً كرم الله وجهه ورضي الله عنه وعليه السلام اتخذ موقفاً مستقلاً في عهدٍ من هذه العهود لتركنا كل خط دون خطه ، وبعد فإذا كانت وحدة الأمة ايها الاخوة هي الأساس الاقدس بل هو الهدف الاسمى الذي تدور عليه احكام الاسلام العلمية والعملية جميعاً فان قداسة هذا المبدأ تتجلى في عصرنا اليوم بشكل لم يتجلى من قبل ابداً ، وان اهمية الحصول على هذا الهدف الاقدس يدعونا الى ان نجند كل طاقاتنا وان نضحي بكل آرائنا وافكارنا في سبيل الحفاظ على هذه الوحدةاو استعادتها ، من أين اشعر بهذا المعنى ، اشعر بهذا المعنى عندما اجد اعدائنا لا يرهبون فكراً ولا يرهبون فينا ماضياً حضارياً ولكنهم يخافون من شيء واحد يخافون أن تلتقي هذه الامة على نهج واحد كما التقت بالأمس ، يزداد شعوري بقداسة هذا المبدأ وضرورة الجهاد في سبيله والتضحية بكل شيء في سبيله عندما اصغي الى الهمس بل الى الكلمات الصارخة لم تعد همساً ، الكلمات الصارخة التي تصك آذاننا من اعداء الاسلام ، ان العدو الأوحد للغرب والشرق غدا الاسلام ، ولعلكم جميعاً سمعتم الكلمة التي أذاعتها اذاعة لندن باللغة العربية يوم الثالث من شباط في الساعة الرابعة وخمس دقائق بتوقيت دمشق على لسان صحفي بريطاني يقول : لقد كان أمام الغرب عدوان اثنان احدهما الشيوعية والثاني الاسلام . ولقد انهار صرح الشيوعية دون أن يقدم الغرب خسائر تذكر ، واليوم يجتمع الشرق ، الكاثوليكي والارثوذكسي مع الغرب في خندق واحد لمواجهة العدو الواحد الباقي وهو الاسلام هكذا يقولون وماذا نحن فاعلون اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم واشكركم شكراً جزيلاً والسلام عليكم .